المحاضرة السابعة:خصائص المسرح الملحمي

يعتبر الاتجاه الملحمي وليد فترة معينة من التاريخ الفكري والسياسي في أوربا، وبالتحديد مرحلة ما بين الحربين العالميتين، إذ أصبحت أوربا تعاني التشرذم والحروب، التي خلفت ضحايا أبرياء، لذلك انبرى سياسيون ومثقفون لمهمة توعية شعوبهم بخطر هذه الحروب على الفرد والمجتمع وما تجنيه عليه من مآسي اجتماعية وحضارية وثقافية.

ظهر في المسرح عدة اتجاهات تحاول التغيير، سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الفني، ولعل أهم اتجاه ظهر في المسرح باعتباره فنا هو الاتجاه الملحمي بريادة مؤسسه "بريخت" إذ يرى البحث في هذا الفصل عرض أهم الأسس التي يعتمدها في الإخراج المسرحي مع ذكر أهم النماذج التي تأثرت به في المسرح الجزائري.

يعتمد المسرح الملحمي في مستوى العرض، على أطر جاءت كرد فعل على المسرح التقليدي، إذ يرى بريخت أن الفن الدرامي إنما يسعى في حقيقته إلى إيقاظ المشاهدين وإلهاب مشاعرهم من أجل التغيير، ولا بد أن يستعين المسرح بوسائل جديدة تتجاوز الوسائل التقليدية الأرسطية، حيث يقول في هذا المنحى:" إن المهمة العلمية للمسرح، هي تصوير الحياة الاجتماعية للناس، بحيث تبدو وكأنها تحرك عند المشاهدين إمكانية التغيير، وينبغي أن تتولد عند المشاهدين الحوافز حتى خارج المسرح، من أجل تقديم أفضل الخدمات لتقدم المجتمع"[1]، بمعنى وجوب إيجاد آليات جديدة يقوم عليها المسرح من أجل تحفيز المشاهدين ودفعهم إلى الثورة والتغيير.

يستخدم المسرح الملحمي أساليب اعتمدها بريخت في مذكراته حول العمل الإخراجي نذكر أهمها[2]:

---

[1]- د عدنان رشيد، مسرح بريشت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص 203.

[2]- ينظر د عدنان رشيد، مسرح بريشت ، ص 207-215.

أ- **يجب على المخرج أن يصور من خلال مسرحياته المجتمع**: يكون ذلك عن طريق تصويره على أنه قابل للتغيير من خلال تجسيد تلك الأحداث الاجتماعية على الركح، ولعل أهم مسرحية تمثل هذه الخاصية هي مسرحية "الأم شجاعة"، التي تغيرت نظرتها للمجتمع بفعل الإيجابيات التي يتمتع بها أبناؤها، كما يجب أن يشير المخرج إلى مسألة نقد الجمهور المتفرج لأحداث العمل المسرحي فهو يقول:"من مبادئ طريقة تمثيلنا إسدال الستارة، وترك المسائل معلقة بدون جواب...وينبغي أن يحرك هذا إمكانية النقد والتفكير بالأحداث والإيقاع التي تعرض على خشبة المسرح"[3]، لأن أسلوب بريخت يركز على تصوير الواقع الاجتماعي وإمكانية تغييره نحو الأفضل، وهو بذلك يهتم أكثر بالواقع الخارجي، وعملية الاستقبال النقدية للمواقف، أكثر من اعتماده على الجانب النفسي للشخصية المسرحية.

ب- **تصوير الطبيعة الإنسانية كطبيعة قابلة للتغيير**: يحدث ذلك من خلال إخراج مسرحيات تصور الإنسان على أنه قادر على إحداث التغيير، وهنا تظهر المسؤولية الملقاة على عاتق الممثل كونه هو الذي يجسد الطبيعة الإنسانية على الركح، لهذا عليه أن يتميز بحس ذكي وحاذق حتى يستطيع تقديم الشخصية الموكلة له، من خلال تقليدها عبر تمارين التدريبات هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب عليه أن يضع مسافة بينه وبين الشخصية التي يقدمها؛ أي على الممثل أن لا يندمج مع الشخصية اندماجا كليا، وإنما يوضح للمتلقي سمات تلك الشخصية التي تتحول في واقعها بين الإيجاب والسلب، فبريخت يعطي الحرية للممثل في تقمص دور الشخصية أثناء التدريبات، ولكنه يفرض عليه أثناء العرض العام أن يترك مسافة بينه وبين الشخصية، ليجعل المتلقي يدرك أنه أمام عملية تمثيلية لا غير، وهذا يتيح الفرصة له للقيام بالنقد والانطباع الإيجابي،"وهذه هي النقطة التي انطلق منها بريخت عندما أسس آلية التغريب المسرحي، التي تعتمد على تكسير الإيهام العاطفي، وتبليغ المشاهد المسرحي بمهامه الفكرية تجاه المسرحية التي يشاهدها فيدرك أنه يوجد في المسرح"[4]، لذا

---

[3]- م ن، ص 207.

[4] - voir A. Ubersfeld. Notes sur la dénégation théatrale. P. u. de Lille. 1980. P 46.

تتمحور مهمة الممثل في تصوير طبيعة الشخصية الإنسانية كمتغير ومتطور يستفيق فكريا من أجل القيام بالفعل الذي يؤدي إلى التغيير، ويتم له مبتغاه عن طريق **التغريب**.

ج- **تصوير الصراعات بوصفها صراعات اجتماعية:** يحاول المسرح الملحمي أن يتجاوز النفس الإنسانية التي عمل عليها منهج الواقعية النفسية، حيث يترك هذا الصراع ويتجه إلى الصراع الذي تكون له أسباب ونتائج اجتماعية، ويقول بريخت في هذا المنحى:" إن ما يهمنا هو التصرف والموقف الذي ينشأ من الظروف والاعتبارات الاجتماعية"[5]، ومن أهم المسرحيات التي تبين هذا الموقف، نجد " دائرة الطباشير القوقازية" التي يدور معظم صراعها حول العلائق الاجتماعية انطلاقا من حب مريم العذراء للطفل ثم الانتقال تدريجيا إلى الصراعات الاجتماعية التي تظهر بوضوح من خلال الأحداث المعروضة فوق خشبة المسرح[6].

د- **تصوير الأخلاق بتناقضاتها الحقيقية:** يبين لنا المسرح الملحمي أن الأخلاق لا يجب أن تكون مسلمات لا تناقش، بل يعمل على وضعها في إطار من التناقض، فمثلا (الخير) هو خلق جميل في مبدئه، لكن في الاتجاه الملحمي يجب أن يخضع للتمحيص من جميع نواحيه، بطرح السؤال التالي: لماذا تقوم هذه الشخصية بهذا الفعل الخير؟ وما هي دوافعها في ذلك؟ فربما تقوم هذه الشخصية بهذا الفعل من أجل مصلحة ذاتية، وعندها سيتحول معنى الخير إلى معنى المصلحة. وغيرها من القيم الأخلاقية التي تكون في المسرح التقليدي مسلمات.

يضع المسرح الملحمي كل ما يحدث على خشبة المسرح تحت مجهر النقاش بين أعضاء الفريق العامل على هذا العرض المسرحي، إلى أن يصل في الأخير إلى تصور يرضي كل الأطراف وبهذا يكون له نوع من المصداقية، " فلا يوجد عمل مسرحي يتم إنجازه بصورة تامة، دون التعرض للنقد والتغيير،

---

[5]- **نقلا عن د. عدنان رشيد، مسرح بريشت، م س، ص 211.**

[6]- **ينظر م ن، ص 211.**

كما توجد في غضون العرض المسرحي بروفات، إذ تنشأ لنا حلول جديدة من خلال التمثيل والحوار"[7].

هـ- **استعمال الملاحظة الجدلية كوسيلة من أجل التغيير**: يجب على المسرح أن يوفر نوع من التسلية حتى يستطيع إيصال مهمته التعليمية والتربوية بسهولة، ولكن يكون هذا بطريقة جديدة تتجاوز معنى التطهير في المسرح الكلاسيكي إلى المعنى الجديد والذي يعرف عند بريخت بالتغريب. حيث يقوم مبدأ المسرح حسب بريخت على أساس إبعاد الإيهام المسرحي، الذي تفرضه واقعية العرض على المشاهد، فتشده من عاطفته كي تحيل به إلى إمكانية الاندماج، ولهذا يعمل المسرح الملحمي على اعتبار أن ما يعرض على الخشبة إنما هو تمثيل ومشاهد ممسرحة"اعتبارا من أن النفي يتماشى ومبدأ الالتباس، الذي يقع فيه المشاهد، ولا يستطيع الخروج منه، بين الواقع الذي يشاهده والحقيقة التي ينتمي إليها"[8]، لذلك يدعو بريخت إلى مسرحة المسرح، أي تغييب العاطفة واستحضار الإدراك والعقل من أجل التغيير الاجتماعي، فالمتعة الحقيقية هي التي تتولد عن العقل.

---

[7]- **نقلا عن د. عدنان رشيد، مسرح بريشت، م س، ص 213.**

[8] -**A. Ubersfeld. Notes sur la dénégation théatrale. P. u. de Lille. 1980. P13.**